الأساليب التربوية في غرس القيم العقدية لدى الطفل المسلم

إعداد

سعد الدين أحمد سعد الدين بدرانة

إشراف

الأستاذة الدكتورة شادية أحمد التل

الدكتور مروان ابراهيم القيسي

١٤١٤هـ / ١٩٩٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

قُل لا أملك لِنفسي نفعاً ولا ضَرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء.

سورة الاعراف: الآية ١٨٨

الأساليب التربوية في غرس القيم العقدية لدى الطفل المسلم

إعداد

سعد الدين أحمد سعد الدين بدرانة

بكالوريوس في الأدب لغة عربية ١٩٨٠م

دبلوم تربية اساليب لغة عربية ١٩٨٠م

الدبلوم العالي في الدراسات الإسلامية ١٩٨٩م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في جامعة اليرموك

في التربية في الإسلام

لجنة المناقشة

أ. د. شـــادية احمـــد التل.....مشرفة ورئيسة

د. مروان ابراهيم القيســـي.....مشرفاً

أ. د. ابو اليقظان عطية الجبوري.....عضواً

د. محمـــد مقبل عليمـــات.....عضواً

١٤١٤هـ / ١٩٩٣

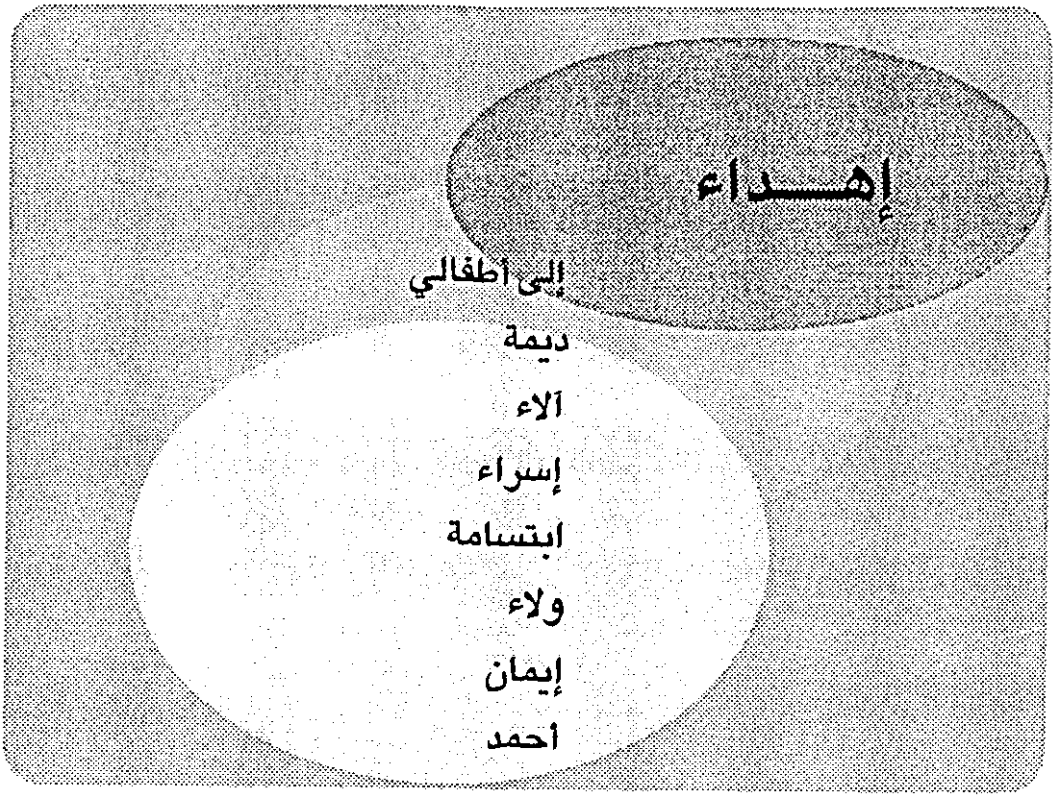
إهـــداء
إلى أطفالي
ديمة
آلاء
إسراء
ابتسامة
ولاء
إيمان
أحمد

شكر وتقدير

قال تعالى ﴿ومَنْ شكر فإنّما يشكرُ لنفسه﴾ (النمل، ٤٠)

وعرفاناً بالجميل فإنني أتقدم بالشكر الجزيل الى الاستاذين الكريمين اللذين توليا هذه الرسالة من توجيه وإرشاد؛ الأستاذة الدكتورة شادية أحمد التل والدكتور مروان ابراهيم القيسي، كما أسأل الله تعالى أن يجزي الاستاذين الكريمين، الدكتور ابو اليقظان عطية الجبوري والدكتور محمد مقبل عليمات خير الجزاء لتفضلهما بالموافقة على مناقشتها، فلهما مني جزيل الشكر وبالغ المودة والتقدير، وكذلك اشكر كل من أبدى لي رأياً وأسدى نصحاً، وأخص أولئك النفر الكريم الذين قاموا بمراجعتها وترجمة ملخصها فلهم كل الشكر والتقدير.

الباحث

سعد الدين احمد بدارنة

المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر وتقدير	د
الملخص	ز
المقدمة	١
الفصل الأول: الإنسان: طبيعته ونموه	٤
مقدمة	٥
الطبيعة الإنسانية	٥
أثر الوارثة والبيئة على الطبيعة الإنسانية	٩
النمو الإنساني	١٣
أولاً: مرحلة ما قبل الولادة:	١٣
ثانياً: مرحلة الطفولة:	١٥
ثالثاً: مرحلةالبلوغ أوالأشد:	١٨
رابعاً:مرحلة الكهوله	٢٠
خامساً:مرحلة الشيخوخة:	٢٠
الفصل الثاني: الطفولة في الإسلام	٢٢
الطفل في اللغة	٢٣
الطفل في القرآن الكريم	٢٤
الطفل في التربية الإسلاميّة:	٢٦
أهمية الطفولة في الاسلام:	٢٨
مرحلة الطفولة: خصائصها ومتطلباتها التربوية	٢٩
مقدمة	٢٩
أطوار نمو الطفل	٣٠
أولاً: طور ما قبل التمييز:	٣١

١. فترة الرضاعة: ٣١
٢. فترة الحضانة: ٣٤
ثانياً: طور التمييز: ٣٧

الفصل الثالث: القيم الاسلامية وتصنيفاتها ٤١
مقدمة ٤٢
مفهوم القيمة في اللغة ٤٣
مفهوم القيمة في التربية وعلم النفس ٤٤
مفهوم القيمة في التربية الاسلامية ٤٥
خصائص القيم العقدية ٥٠
تصنيفات القيم العقديّة والقيم العقدية المختارة لغرسها لدى الطفل المسلم ٥٦
القيم العقدية المختارة المراد غرسها ٥٩

الفصل الرابع: طرق غرس القيم العقائدية في نفس الطفل المسلم ٦٠
مقدمة ٦١
المحاكاة والتقليد والتلقين ٦٢
القدوة ٦٥
ضرب المثل ٦٨
الحوار ٧١
الترغيب والترهيب ٧٥
الوعظ ٧٨
القصة ٨١
التأمل والتفكير ٨٤
الخاتمة ٨٧
المراجع ٨٩
الملخص بالانجليزية ١١٢

الملخص

الاساليب التربوية في غرس القيم العقدية لدى الطفل المسلم

اعداد الطالب

سعد الدين احمد سعد الدين بدارنة

اشراف

الأستاذة الدكتورة شادية أحمد التل

الدكتور مروان ابراهيم القيسي

تهدف الدراسة الحالية الى التعرف الى الاساليب التربوية لغرس القيم العقدية لدى الطفل، ولتحقيق ذلك تم تحديد مفهوم الطفولة في الاسلام وخصائصها النمائية، وذلك من خلال بيان الطبيعة الانسانية المكوّنة من مادة وروح، يكونان وحدة واحدة متكاملة قائمة على تداخل شديد التعقيد. وكذلك مدى تأثير كل من الوراثة والبيئة على هذه الطبيعة الانسانية في تكوين شخصية الطفل الاسلامية، وكذلك مدى ارتباط مراحل النمو الانساني - ما قبل الميلاد، ومرحلة الطفولة، ومرحلة البلوغ أو الاشد، ومرحلة الشيخوخة- بمرحلة الطفولة التي تتوسطهم، وأثر ذلك في تربية الطفل، لأن مراحل النمو الانسانية متصلة مع بعضها البعض، فهي تكاملية استمرارية طيلة حياة الانسان، فهي تربية متجددة تتصف بالتدريج والاستمرارية. وبعد ذلك تم تحديد مفهوم الطفولة وخصائصها النمائية مع وضع تقسيم نمائي لمرحلة الطفولة مستمد من القرآن الكريم، ويتفق مع الخصائص النمائية للطفل.

ومن ثمّ تمّ تحديد مفهوم القيم العقدية في الاسلام وتصنيفها في سلم هرمي حسب موضوعاتها، مبتدئاً بقيم توحيد الربوبية، وقيم توحيد الالوهية وقيم توحيد

الاسماء والصفات كونها الاساس لباقي القيم الاخرى من قيم الايمان بالملائكة وقيم الايمان بالكتب، وقيم الايمان بالرسل والانبياء، وقيم الايمان باليوم الآخر.

وبعدها تم تحديد الاساليب التربوية التي تتناسب مع الطفل لغرس القيم العقدية؛ فعلى سبيل المثال اسلوب القصة يتناسب معه غرس قيم الايمان بالله سبحانه وتعالى، والايمان بالرسل عليهم السلام، والايمان باليوم الآخر. وكذلك اسلوب المثل من شأنه ان يتناسب معه غرس قيمة الايمان باليوم الآخر وقيمة الشكر لله على نعمه وقيمة حب تلاوة القرآن الكريم، وغيرها من الاساليب الأخرى التي لا تقل اهمية عنها.

وقد اختتمت بجملة من التوصيات ابرزها تدريب وتعليم وتوجيه الآباء والامهات والمربين على الاساليب التربوية المناسبة لغرس القيم العقدية لدى اطفالهم مثل اسلوب المحاكاة والتقليد والتلقين، واسلوب ضرب المثل واسلوب الحوار واسلوب القصة واسلوب الترغيب والترهيب.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فمن فضل الله تعالى أن من على هذه الأمة بالاسلام وهداها اليه، وجعله نبراساً يضيء دربها، ما دامت متمسكة بعراه، فكان ذلك مدعاة استقرارها، ومصدر أمنها،وثبات قيمها ومبادئها، فهي تملك أصولاً عقدية ثابتة، ذات صبغة ربانية خالصة لتبلغ بالأمة الى تحقيق الهدف الذي من أجله خلقت، وهي العبودية الخالصة لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[1]. وهذه الغاية السامية تصبغ حياة المسلم بالصبغة الربانية، وتربيه على الطاعة والامتثال لتعاليم الاسلام رغبة ورهبة، فيتحقق استقراره الايماني الذي يؤهله للعطاء المثمر في سبيل خدمة هذا الدين بقدر ما كلفه الله من سعة.

وتربية الطفل المسلم ضمن اطار القيم العقدية الاسلامية يعطيه بعداً استقلالياً ومتميزاً، لأن القيم العقدية تنسجم مع فطرته، وكذلك تعد الاساس لتحقيق مطالب رعاية الطفولة المتمثلة في النواحي الاخلاقية والدينية والجسمية والانفعالية والعقلية والاجتماعية.

ويعتمد غرس القيم العقدية في نفس الطفل المسلم على المربي أولاً، ثم الاسلوب الذي يسلكه المربي مع طفله؛ فإذا كان المربي فاضلاً مخلصاً، وكان الاسلوب الذي يتبعه مع طفله مناسباً يتحقق الغرس المثمر بإذن الله تعالى.

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦.

وما نشاهده اليوم من الطفولة الضائعة، وما يغرس فيها من متنوع الأفكار والاتجاهات سبب لها انحرافاً وبعداً عن خالقها، ففقد الطفل شخصيته المتميزة، فجاء هذا البحث حول الاساليب التربوية في غرس القيم العقدية لدى الطفل المسلم وصولاً الى الطفل المسلم المتميز ذو الشخصية المستقلة. رغم ندرة المصادر والمراجع التي تعنى بالقيم العقدية، وكذلك صعوبة الافادة الكبيرة من التراث لندرة الجهود في جمع النصوص التربوية ضمن وحدة موضوعية، يسهل على الباحث الرجوع اليها، فبالرغم من الشواهد الكثيرة، إلا أنها مبعثرة متناثرة.

اسئلة الدراسة:

١- ما الطبيعة الانسانية وأثرها في تربية الطفل المسلم؟.

٢- ما مفهوم الطفولة في التربية الوضعية والتربية الاسلامية؟.

٣- ما التصنيف المناسب للقيم العقدية؟.

٤- ما القيم العقدية التي يلزم تعليمها الى الطفل المسلم؟.

٥- ما الاساليب التربوية التي تتناسب معها غرس القيم العقدية لدى الطفل المسلم؟.

خطة البحث:

جعل الباحث الرسالة في مقدمة، وأربعة فصول، ثم خاتمة البحث.

المقدمة وتشمل على:

١- القاء نظرة عامة على أهمية الطفولة في الاسلام.

٢- اسئلة الدراسة.

٣- منهج البحث.

٤- موجز لخطة البحث ويتضمن:

الفصل الأول: الانسان: "طبيعته ونموه"

عرض الباحث فيه الطبيعة الانسانية، وتأثير الوراثة والبيئة على الطفل من الناحية التربوية، وكذلك مراحل النمو الانساني وتشتمل على مرحلة ما قبل الميلاد، ومرحلة الطفولة، ومرحلة البلوغ والأشد ومرحلة الشيخوخة.

الفصل الثاني: "الطفولة في الاسلام"

ويشتمل على تعريف الطفل في اللغة، والطفل في القرآن الكريم، وتعريف مفهوم الطفل في التربية الاسلامية، ثم بيان أهمية الطفولة في الاسلام، وبيان خصائص نمو الطفولة ومتطلباتها التربوية، وقسم الباحث مرحلة الطفولة الى طورين، طور ما قبل التمييز ويشمل على فترتين؛ فترة الرضاعة، فترة الحضانة، والطور الثاني هو طور التمييز.

الفصل الثالث: "القيم الاسلامية وتصنيفاتها"

وضح الباحث مفهوم القيمة في اللغة والتربية وعلم النفس، ثم مفهومها في التربية الاسلامية، وعرض كذلك خصائص القيم العقدية، وتصنيفات القيم العقدية، والقيم العقدية المختارة.

الفصل الرابع: "الطرق غرس القيم العقائدية في نفس الطفل المسلم

يشتمل هذا الفصل على بعض الاساليب التربوية المناسبة التالية: اسلوب المحاكاة والتقليد والتلقين واسلوب القدوة واسلوب المثل واسلوب الترغيب والترهيب واسلوب الوعظ واسلوب القصة واسلوب التأمل والتفكير.

خاتمة البحث

وتشتمل على عرض موجز لأهم نتائج البحث، وأهم التوصيات.

الفهارس

وتشتمل على فهارس الآيات والأحاديث والمراجع والمصادر.

الفصل الأول

الإنسان: طبيعته ونموه

- الطبيعة الإنسانية
- أثر الوراثة والبيئة في النمو
- النمو الإنساني
- مراحل النمو الإنساني

مقدمة

الإنسان هو المخلوق الجديد الذي أدهش الله به الملائكة حينما قال تعالى: ﴿**وإذ قال ربّك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إني أعلم مالا تعلمون**﴾[1].

لقد شاء الله أن يكون آدمُ خليفة الله في ارضه - ولم يكن أول ما خلق الله من عباده، فقد خلق قبله الملائكة والجن -فالطبيعة الإنسانية ليست مفهوماً غيبياً، ولا ما هية مجردة، وإنما هي وجود واقعي يتحدد من خلال سلوك الإنسان ونشاطه، تتخذ من العلم سبيلاً له ومنهجاً يلتزم به، ومن الإيمان مصدر إنطلاق وثبات، ومن العمل أداة بناء وإعلاء لكلمة الله وتحقيق لخلافته في الأرض.

فالطبيعة الإنسانية حين تحقق الخلافة تحقق ذاتها، وهي في تحقيقها لذاتها تحقيقاً سوياً إنما تحقق الإسلام وتجسد مبادئه، فتحقيق الخلافة أمر فطري في الطبيعة الإنسانية، وتحقيق الخلافة يعني الدين، فالدين فطري في الطبيعة الإنسانية.

الطبيعة الإنسانية

لا ريب أن فهم الطبيعة الإنسانية وما للإنسان من ميول ورغبات وغرائز مختلفة، أمر ضروري للمربي إذ لا يمكن أن يكون التوجيه سليماً وصحيحاً وثابتاً إلا إذا عرف المربي أن ما في داخل النفس الإنسانية من ميول ورغبات واستعدادات قابل لتعديل والتغيير، ليستطيع بعدئذ تحريك الإنسان وتوجيهه الوجهة السليمة.

---

(١) سورة البقرة آية ٣٠.

لقد كان ولا يزال لعلماء النفس والتربية وجهة نظر في حقيقة الطبيعة الإنسانية وملخصها، هل الطبيعة الإنسانية مكونة من العنصر المادي أو الروحي أو منهما معاً؟ وما أثر الوراثة والبيئة في الطبيعة الإنسانية؟ وما تأثير كل منهما فيها، وإلى أيهما يعود تحديد سلوك الإنسان وتعيين أنماطه؟.[1]

والنظرة إلى الطبيعة الإنسانية على أنها مادية ليست نظرة حديثة، فقد ذهب هذا المذهب فلاسفة قدماء من اليونانيين أمثال ديموقريطس، وكانت المعرفة عندهم معرفة حسيّة لا غير[2]. وتبنّى هذا الاتجاه المادي من المحدثين كثيرون منهم علماء المدرسة السلوكية في علم النفس، تلك المدرسة التي أسسها واطسن، وهي مدرسة تنظر إلى الكائن الحي نظرتها إلى آلة ميكانيكية معقدة، لا تحركه دوافع موجهة نحو غاية، بل مثيرات فيزيقية تصدر عنها استجابات عضلية وغدّية مختلفة[3]. ويرى الماديون أن الطريق الوحيد لتوضيح الطبيعة البشرية هو إخضاعها للقوانين الطبيعة العلمية، وإعتبار الإنسان امتداداً للطبيعية.

وفي مقابل هذا الإتجاه، كان هناك اتجاه عقلي يرى أن الوجود الجسمي ليس له حقيقة مستقلة، ولكنه نتاج العقل[4]، ومن أبرز المعبرين عنه سقراط وأفلاطون وأرسطو، أما سقراط فيعتقد أن النفس البشرية ذات جوهر روحي ووجود مستقل عن الجسم[5]. وأما أفلاطون فقد انطلق في تصوره للطبيعة البشرية من تصوره للكون، فكما أن الكون يتكون من عالم للروح وعالم للمادة، فإن الطبيعة الإنسانية كذلك تتكون من العقل والمادة (الجسم). ويعتبر الجسم مشتقاً من العقل، والجسم مادة

---

(١) يوسف كرم؛ تاريخ الفلسفة اليونانية -ط٣- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م،ص٤٦.

(٢) المصدر السابق ص٢٢٤.

(٣) أحمد عزت راجح: أصول علم النفس - ط١- المكتب المصري الحديث الاسكندرية - ١٩٧٦م ص٤٧، وكذلك انظر اصول التربية للدكتور أحمد فنيش ص١٠٤، الدار العربية للكتاب - ليبيا.

(٤) فيليب فينكس. فلسفة التربية. ترجمة د. محمد لبيب النجيحي- مؤسسة دار النهضة العربية بالقاهرة، فرانكلين - القاهرة. ١٩٦٥.ص٧٠٤

(٥) د. أحمد علي الفنيش: أصول التربية،ص ٩٦.

متغيرة، يولد وينمو ويفنى مثل الأشياء الماديّة، وأن العقل قادر على الاتصال بالافكار الثابتة الأزلية الموجودة في عالم الروح[1]. وأما أرسطو فيرى أن الإنسان مسيّر بمجموعة من الغرائز التي يولد بها، وعبر عن ذلك بعبارته المشهورة: "الإنسان حيوان عاقل"[2].

قد ذهب منهم إلى أن الطبيعة الإنسانية هي حصيلة تفاعل الوراثة مع البيئة التي يعيش فيها الفرد، أمثال "بالمر" و "جوتسمان" و "هبر" فهؤلاء، يرون أنّ الذكاء مثلاً ناتجاً لتفاعل مستمر بين البيئة والوراثة، ويقبلون فكرة مفادها أنّ الوراثة قد تحدد الحدين الأقصى والأدنى للدرجات التي يمكن أن يحصل عليها الفرد نتيجة أدائه على إختبار للذكاء، في حين تلعب عوامل البيئة دوراً رئيسياً ضمن هذا المدى[3].

ولم يكن خلاف المفكرين في تصور الطبيعة الإنسانية يدور حول كونها مادية أو عقلية فحسب، بل اختلفوا في أثر عاملي الوراثة والبيئة في الطبيعة الانسانية، وإلى أيهما يعود تحديد سلوك الإنسان وتعيين أنماطه. فمن العلماء من أرجع كل التأثير في الطبيعة الإنسانية إلى الوراثة أمثال "مكدوجل" الذي أكد دور الوراثة الفعّال في تحديد السلوك، ونادى بوراثة السلوك [4]. وقد عزا بعض العلماء كل التأثير في الطبيعة الإنسانية إلى البيئة، ومن هؤلاء علماء المدرسة السلوكية. تلك المدرسة التي تغلو في توكيد دور البيئة والتربية في نمو الفرد، وتقلل من أثر الوراثة إلى حد كبير. وعلى رأسهم واطسن الذي يرى أن الطفل صفحة بيضاء من الممكن أن يُروّض على أي اتجاه، وذلك أيّاً كانت مواهب أجداده أو استعداداتهم أو ميولهم أو جنسهم[5].

---

(١) المرجع السابق، ص ٩٦.

(٢) المرجع السابق ص٩٦.

(٣) نشواتي، عبد المجيد، علم النفس التربوي، ط٣ -دار الفرقان- مؤسسة الرسالة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م. ص١٣١.

(٤) أحمد عبد العزيز سلامة وعبد السلام عبد الغفار: علم النفس الاجتماعي -دار النهضة العربية- ١٩٧٠م، ص٦٠.

(٥) د. حسن ابراهيم عبد العال: مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية. دار عالم الكتب لنشر والتوزيع - الرياض ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م. ص (٢٧٥).

والاختلاف الذي يجده الباحث بين العلماء والفلاسفة في تصورهم عن الطبيعة الإنسانية يرجع معظمه إلى إختلاف نزعات ومذاهب العلماء والفلاسفة، وإلى إختلاف تخصصاتهم العلمية، واختلاف الجوانب التي يهتمون بها في الطبيعة الإنسانية.

أما الإسلام فله تصوّره الخاص للطبيعة الإنسانية فقد قدّم تصوراً يختلف إختلافاً جوهرياً عن كل الآراء السابقة، وهو أنّ التصور الإسلامي لطبيعة الإنسان لا ينطلق من تصورات فيلسوف أو نظرية عالم، ولكن من حقيقة إلهيّة، تتمثل في خلْق الله للإنسان من قبضة من طين ونفخة من روح، أي أنه متكامل من جوانب روحيّة ومادية.

فالطبيعة الإنسانية في نظر الإسلام- وحدة متكاملة قائمة على تداخل شديد التعقيد بين المادة والروح، وليس الإنسان جسماً فقط كما رأى أصحاب الرأي المادي، وإنما الطبيعة الإنسانية تتكون من بدن وروح، بدن له حاجاته التي يجب إشباعها من أجل حفظ النفس وبقاء النوع، وروح هو عنصر علوي يتضمن استعداد الإنسان لتحقيق معالي الأمور وأقدس الصفات، فهو الذي يؤهله للارتفاع فوق مستوى الحيوان، ويقرر له أهدافه، ويرسم له خطوط منهاجه، ويضيف إلى بشريته النزوع إلى مصدر القيم والمعارف التي تجعل له حقيقة الإنسان قال تعالى: ﴿وإذ قال ربُك للملائكة إنّي خالق بشراً من طين* فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾[1].

فالطبيعة الإنسانية طبيعة مزدوجة من مادة وروح، ممتزجتان معاً في وحدة متكاملة متناسقة. ويكون هذا المزيج المتناسق ذات الإنسان وشخصيته ﴿ الذي أحْسنَ كل شيء خَلقَهُ وبدأ خلْق الانسان من طين* ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين* ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون﴾ [2]ولهذا نجد في الطبيعة البشرية حاجات فطريّة بعضها مادي وبعضها روحي. ونظرة الإسلام في هذه الحاجات الفطرية أنه لا يقتصر في نظرته وتحليله ودراسته على جانب واحد فيها، كالجانب

---

(١) سورة ص آية (٧١، ٧٢).

(٢) سورة السجدة آية (٧، ٨، ٩).

الروحي أو الجانب العقلي أو الجسمي فحسب، شأن المناهج الفلسفية[1] في تحليلها للطبيعة الإنسانية ودراستها. بل ينظر الإسلام نظرة كليّة شاملة لهذه الجوانب سواء كان منها الجانب الروحي أو العقلي أو الحسي أو غيرها لا يطغى جانب على آخر أو يفصل جانب عن آخر بل يعدهم الاسلام وحدة واحدة متناسقة.

أثر الوارثة والبيئة على الطبيعة الإنسانية

لقد تفاوتت أراء العلماء في هذا المجال وخصوصاً علماء النفس -كما بينا في بداية الحديث عن الطبيعة البشرية- فمنهم من أرجع التأثير في الإنسان إلى عامل الوراثة وحده، وتغاضى عن أثر البيئة في تشكيل هذه الطبيعة. ومنهم من أرجع ذلك التأثير إلى عامل البيئة وحده وأغفل أثر الوراثة في شخصية الإنسان. ومنهم من أكد أثر العاملين معاً.

وأما بخصوص وجهة نظر الإسلام في الوراثة وتأثيرها في الطبيعة الإنسانية، فقد اعترف الإسلام بأثر الوراثة في نمو الإنسان وسلوكه وجوانب حياته المختلفة، ورأى الإسلام أن بالوراثة تنتقل إلى الفرع، صفات من الأصل. وأن الأبوين هما الوسيلة التي تنتقل من خلالهما تلك الصفات الوراثية. ويتضح تقدير الإسلام للوراثة في إعترافه بأن الصفات الوراثية تنقل من الآباء إلى الأبناء ومع إيمان الإسلام بأثر الوراثة في إنتقال الخصائص الوراثية إلا أنه أكد حدوث تفاوت بين أفراد الأسرة الواحدة في التكوين الوراثي، فمن الممكن أن يُرزق الرجل بطفلين، فيرث كل منهما مجموعة من الخصائص (الصفات) قد تختلف عن الصفات التي يرثها الآخر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول ولد لي غلام أسود (وهو يعرض بنفيه) فلم يرخص له بالنفي منه فقال: هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: ممّ ألوانها؟ قال: أحمر، قال: هل فيها أورق؟

---

(١) القاضي، مصطفى القاضي، علم النفس التربوي في الإسلام. دار المريخ - الرياض - ١٤٧هـ-١٩٨١م. ص٣٠.

قال: نعم، قال: أنّى ذلك؟ فقال: لعله نزعة عرق. فقال صلى الله عليه وسلم لعل ابنك نزعة عرق[1] فالرسول صلى الله عليه وسلم يلفت الانتباه إلى أنّ الوراثة لا تعني مجرد تشابه الطفل مع والديه في خصائصهما وصفاتهما، فقد يتصف الطفل بصفات لا توجد عند والديه، بل يحملها من أجيال سابقة من نفس العائلة، هذا ما أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: (لعلّ إبنك نزعة عرق).

أمّا من حيث أثر الوراثة على أخلاقية الطفل وعقليته ونفسيته، فيرى الاسلام عدم خضوع الصلاح والسلوك عموماً للوراثة. هذا وإنّ الصلاح والتقوى والسلوك المستقيم نتيجة للفهم الواعي لهداية الله، وللعقل الراجح، ونتيجة للمران والتدريب والمجاهدة[2]. ويقرر القرآن الكريم عدم وجود أثر الوراثة في السلوك، فقد ضرب لنا الأمثال بنوح عليه السلام وابنه الكافر الذي يرى فيه القرآن معرّة أن ينسبه نوح إليه، وهو من صلبه، قال الله تعالى: ﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عملٌ غير صالح فلا تسألنّ ما ليس لك به علمٌ إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾[3]. ويشير القرآن الكريم إلى عدم خضوع السلوك للوراثة في قوله تعالى: ﴿وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما مُحسنٌ وظالمٌ لنفسه مبين﴾[4]. وكذلك يعرض القرآن الكريم لنا دعاء أبي الأنبياء وخليله ابراهيم عليه السلام، أن يجعل النبوة أو الصلاح في ذريته فيجيبه الله عزّ وجل: ﴿وإذ ابتلى ابراهيم ربُّه بكلماتٍ فأتمّهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذُريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾[5]

أما ما يتعلق بالجانب الآخر، البيئة وتأثيرها على الطبيعة الإنسانية، فالإسلام يتناول البيئة بمفهومها الشامل: البيئة الداخلية وعني بها رحم الأم، والبيئة

---

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ٩، ص٢٤٢ رقم ٥٣٠٥.

(٢) عابد توفيق الهاشمي، مدخل إلى تصور الإسلامي للإنسان والحياة ط١ - دار الفرقان- عمان ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ - ص٣٨.

(٣) سورة هود ٤٦.

(٤) سورة الصافات ١٢٤.

(٥) سورة البقرة ١٢٣.

المحيطة بالفرد وهي النظم الاجتماعية التي تحيط بالفرد من منزل ومدرسة، ومهنة، وشعائر دينية، ومعتقدات وأفكار ولغة وأدب وغيرها.

أما بخصوص البيئة الداخلية (رحم الأم)، فإنّ الطفل يعيش في رحم أمه تسعة أشهر وهي التي تتفتح فيها إمكانياته الوراثية، وتظهر فيها خصائص البشرية. ولقد أشار المربون المسلمون إلى أهمية تمتع الأم بالصحة وخلوها من الأمراض التي تؤثر في الجنين، قال ابن الجزار القيرواني إن الذي يحتاج إليه من المرأة عند طلب الولد منها أمران: أحدهما من البدن والآخر من النفس وذلك أول صلاح الولد، والأساس الذي يبنى عليه تأديبه (ترتبيته)، فالذي من البدن إعتدال مزاج الطفل وميسته[1] وأن تكون المرأة خيّرة صحيحة البدن، وأمّا الذي من النفس فصحة القريحة وقوة الذهن وتهذيب الخاطر»[2]. ولقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الزواج من الأبكار، وذلك لأنهنّ أكثر استعداداً للحمل والاخصاب. فقال صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالابكار فإنهنّ أعذب أفواهاً وأنتق أرحاماً»[3].

وأما بخصوص البيئة المحيطة بالطفل فبولادة الطفل تكون عوامل الوراثة قد استقرت وتحددت، إلا أن تفاعل الطفل مع ما يحيط به، والتي سيعيش فيها قد تُوجّه تلك العوامل الوراثية توجيهات مختلفة. ولقد بين الإسلام أن الإنسان يولد وهو مهيأ لطريق الخير، إذ أنه مزوّد بالعقل والقلب وأدوات المعرفة، يولد سليما ليس فيه عيب، ولكن يبقى أثر البيئة يصنع صنعه في الإنسان في الغالب فيؤثر في سلوكه وتصرفاته. وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»[4].

---

(١) ميسته: الميسون من الغلمان حسن الوجه والنظر.

(٢) ابن الجزار القيرواني سياسة الصبيان وتدبيرهم، تحقيق محمد الحبيب الهبلة. ص١١١.

(٣) ابن ماجه، (محمد بن ماجه القزويني) سنن ابن ماجه ط٨، مطبعة عيسى الباي حلبي ١٣١٣هـ ص٥٩٨.

(٤) الألباني، صحيح الجامع الصغير، جـ٢، ط٣ - المكتب الإسلامي ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص١٠٠٧. رقم (٥٧٨٤)، ص٥٩٨.

ولقد أكد الإسلام على دور الوالدين في تربية طفلهما، فإن عوّدا الطفل الخير وعلماه، نشأ عليه وسعد في الدنيا والأخرة وشاركا في ثوابه كل معلم له ومؤدب، وإن عوّد الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيّم عليه والوالي له[1]. وكذلك بين الرسول صلى الله عليه وسلم أثر المصاحبة في السلوك، فيقول صلى الله عليه وسلم: «مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك منه ريحه، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك سواده أصابك دخانه»[2].

أما أثر البيئة النفسية على الطبيعة الإنسانية، فقد حرص الإسلام على وجود بيئة نفسية للطفل مليئة بالحب والحنان ولم يفرق بين الذكر والأنثى، أو العاجز بعجز خَلْقي. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها- يعني الذكور- أدخله الله الجنة»[3]، وقال عليه السلام: «لا تؤذوا المسلمين ولا تعيّرهم ولا تتبعوا عوراتهم»[4].

يستنتج مما سبق ذكره بخصوص عاملي الوراثة والبيئة وأثرهما في الطبيعة الإنسانية أن الإسلام لم يعوّل على عامل فقط، فقد أرجع التأثير في الطبيعة البشرية إلى عاملي الوراثة، والبيئة، ورأى أنهما متكاملان في تكوين الشخصية، وهما يبدوان عملهما معاً منذ لحظة الحياة الأولى (الإخصاب) ويستمران معاً في عمل متكامل حتى نهاية الحياة.

---

(١) الغزالي: (أبو حامد محمد بن محمد). إحياء علوم الدين جـ٣، ص٧٢.

(٢) أبي داود: (سليمان بن الأشعث السجستاني الازدي): سنن أبي داود تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد -الطبعة الثانية- المكتبة التجارية الكبرى -مطبعة السعادة ١٣٦٩هـ- ١٩٢٠هـ جـ٤ ص٣٥٨.

(٣) الامام المنذري، الترغيب والترهيب جـ٤ ص١٣٧.

(٤) ابن الربيع الشيباني: تيسير الوصول جـ٣، ص٤٨ في تتبع العورة وسترها.

فالوراثة لها أثر في نقل صفات الوالدين أو الاجداد الى المولودين، وليس لها أثر في نقل سلوك الوالدين إلى الابناء، وكذلك للبيئة أثر في الصلاح والسلوك، ولكن أحياناً لا يخضع الصلاح أو السلوك إلى عوامل البيئة، قال الله تعالى: ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذا قالت: ربِّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾[1].

النمو الإنساني

يقرر القرآن الكريم أن الإنسان خلق خلقاً مستقلاً - ولم ينحدر الإنسان من أصل حيواني كما زعم كل من داروين وولاس ولامارك الذين يقولون بتحول الأنواع، قال الله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾[2]. وقال الله تعالى: ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم* الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين* ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين* ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾[3]. لقد بيّن الله تعالى كيف بدأ خلق الإنسان من طين؟ ثم جعل نسله من ماءٍ مهين، وكيف تطور خلقه من حال إلى حال في بطن أمه إلى أن يولد فيكون ضعيفاً، ثم ينمو ويقوى ثم يضعف ويموت.

وتنقسم مراحل النمو الإنساني إلى أربع مراحل:

أولاً: مرحلة ما قبل الولادة:

يشير القرآن الكريم إلى مرحلة زمنية لم يكن الإنسان فيها شيئاً مذكوراً ثم وجد، قال تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حينٌ من الدّهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾[4]. وتبدأ مرحلة ما قبل الولادة من حدوث الحمل وتنتهي بالولادة. ولقد بيّن الله تعالى مراحل ما قبل

---

(١) سورة التحريم ١١.

(٢) سورة آل عمران اية (٥٩).

(٣) سورة السجدة (٦، ٧، ٨، ٩).

(٤) سورة الإنسان آية (١).

الولادة حيث قال: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً* وقد خلقكم أطواراً﴾[1]. وفي آيات أخرى يبين الله سبحانه وتعالى هذه الأطوار مفصّلة فيقول الله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من ترابٍ ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مُضغة مخلّقة وغير مخلّقة لنبيّن لكم ونقرّ في الارحام ما نشاء إلى أجل مسمى﴾[2]. وقال الله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سُلالةٍ من طين* ثمّ جعلناه نُطفة في قرار مكين*ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عِظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسنُ الخالقين﴾[3]. وقال عليه الصلاة والسلام مفصلاً هذه المرحلة، ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً، يؤمر بأربع كلمات، ويقال له: أكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم يَنفُخ فيه الروح...»[4].

وأساسيات المرحلة الأولى - أن يكون الأبوان صالحين، لأن الطفل يتأثر بأخلاق أبويه، ذلك أن الطفل كالنبتة فإذا أردنا أن ننبت نباتاً حسناً لا بدّ من معرفة إختيار بذرة صالحة، وكذلك إختيار أرض صالحة لهذه البذرة وزرعها فيها، ولهذا أنبت الله مريم نباتاً حسناً لتنتج ثمرة طيبة وكانت تلك الثمرة هي عيسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وأنبتها نباتاً حسناً﴾[5]. ولهذا أمر الإسلام بإختيار شريك صالح لإنتاج ذرية صالحة، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «تخيروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء وانكحوا اليهم»[6]. وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه

---

(١) سورة نوح آية (١٣، ١٤).

(٢) سورة الحج آية (٥).

(٣) سورة المؤمنون: (١٢، ١٣، ١٤).

(٤) الألباني، الجامع الصغير وزيادته ج١، ص٣٢١ رقم ١٥٤٣.

(٥) سورة آل عمران آية (٣٧).

(٦) الألباني، صحيح الجامع الصغير مجلد١ ص٥٦٤ رقم ٢٩٢٨

فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض»[1]. وقال تعالى: ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون﴾[2]. وبعد عملية الإختيار من الزوج الصالح والزوجة الصالحة، أمر الإسلام الزوج بحسن معاملة زوجه لكي لا تصاب الزوجة وهي حامل بإضطرابات نفسية فيتأثر بها الجنين جراء سوء معاملة الزوج لزوجته: فقال الله تعالى: ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾[3].

ولقد زود الله الطفل -في مرحلة ما قبل الولادة- بقدرات واستعدادات بعضها مادية، مثل الحواس، والقدرة على الحركة، وبعضها معنوي خفي مثل الغرائز، والقدرة على الفهم والتفكير وسائر الاستعدادات الفطرية[4]. كأنه إعداد للمراحل اللاحقة. قال الله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾[5].

ثانياً: مرحلة الطفولة

تبدأ مرحلة الطفولة من الولادة حتى البلوغ، قال الله تعالى: ﴿ثم يُخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشُدكم...﴾[6]. فحين يولد الإنسان يولد وهو مزود بالاستعداد للدين. قال الله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فِطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[7]. ثمّ يبدأ هذا الاستعداد الفطرى في بروزه و تفتحه عندما

---

(١) الالباني، المرجع نفسه، جـ١ ص١١٢ رقم ٢٧٠.

(٢) سورة النور آية (٢٦).

(٣) سورة النساء آية (١٩).

(٤) سيد قطب. ظلال القرآن. ج٢١. دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٠٣.

(٥) سورة النحل آية (٧٨).

(٦) سورة الحج آية ٥.

(٧) سورة الروم آية ٣٠.